الباب الخامس

العالم الإسلامى
بين الأمس واليوم

الفصل الأول

العالم الإسلامى بالأمس

تقديم :

مَنْ ينعم النظر فى واقع العالم الإسلامى بالأمس يجد أنَّه كان فى الجملة أكثر قوَّةً، وأكبر عطاءً فى كل مجالات الحياة : السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، والعلمية، والأدبية، ونحوها.

والأفضل فى حقِّ الناشئة اليوم الوقوف على بعض مظاهر القوَّة والعطاء التى حظى بها العالم الإسلامى بالأمس، والأسباب الكامنة وراء ذلك، علَّها تكون حافزًا لشحذ الهمم والعزائم، حتى تعمل بجدٍّ ، وإتقانٍ، وصبرٍ، وتحملٍ من أجل توفير ما يحتاجه العالم الإسلامى اليوم للنهوض والتقدم، والإمساك بزمام الرِّيادة وتوجيه الحياة نحو الأحسن والأفضل له، وللعالمين أجمعين، ودونك البيان:

أولا : بعض مظاهر قوة العالم الإسلامى وكثرة عطائه:

هناك مظاهر كثيرة تشهد بقوَّة العالم الإسلامى بالأمس، وكثرة عطائه، نذكر منها:

١ ـ الفتوحات الإسلامية :

إذ انقدح فى نفوس المسلمين منذ اللحظة الأولى التى بُعث فيها رسول الله محمد ﷺ حاملا معه الذِّكر الموحى إليه من رب العالمين: كتابًا وسنة، انقدح فى نفوسهم: أن مِنْ واجبهم دعوة الناس إلى الخير والعمل بكلِّ الأساليب والوسائل الممكنة، والتى لا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف على إخراجهم من الظلمات إلى النور، إذ يقول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] .

وإذ يقول النبى ﷺ : « . . . ليبلِّغ الشاهدُ الغائب، فإنَّ الشاهدَ عسى أن يبلغ مَنْ

هو أوعى له منه» [1].

فانطلقوا يؤدون هذا الواجب فيما يُعرف باسم الفتوحات الإسلامية لا يلوون على شيء إلا على مرضات الله ـ عزَّ وجل ـ ونجحوا فى ذلك أعظم النجاح، بحيث لم ينته القرن الأول الهجرى إلا وقد بلغ الإسلام الأندلس وما وراءها غربًا، والهند والصين، وما وراءهما شرقًا، ولم يكن ليتم لهم ذلك، وهم أشحَّةٌ ضعفاء، بل لابد أن يكونوا متمتعين بكثرة القوة، وضخامة العطاء.

٢ ـ التقدم العلمى :

وقد تجلى هذا التقدم العلمى فى صور لا حصر لها، نذكر منها:

أ ـ نقد معارف وعلوم الأمم الأخرى: فقد شاع بين فلاسفة اليونان صناعة التنجيم والزعم أن بعض الكواكب يجلب السعادة، وبعضها يجلب النَّحْس، وأبطل المسلمون ذلك، يقول ابن حزم الأندلسى ـ رحمه الله :

«زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل ، وأنها ترى، وتسمع، وهى دعوى باطلة بلا برهان، وصحة الحكم أن النجوم لا تعقل أصلا، وأن حركتها أبدًا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها، وهذه صفة الجماد الذى لا اختيار له، والواقع أنَّه ليس للنجوم تأثير فى أعمالنا، ولا لها عقل تدبرنا به، والنجوم أيضًا لا تدل على الحوادث المقبلة» [2].

ورفض ابن النفيس نظرية جالينوس عن الدور الذى تلعبه الرئتان فى نقل الدم من تجويفة القلب الواحدة إلى الأخرى، وأعلن أنها خاطئة [3].

ب ـ إضافة الجديد فى مختلف المجالات : فى الطبِّ، والفلك، والكيمياء، والصيدلة، والملاحة، والجغرافيا، وعلوم البحار، والصوت، والضوء، والأرقام، والحساب، والجبر، والمراصد، وصناعة الورق، ونحوها[4].

حسبهم أنهم عرفوا العقاقير، وحددوا منافعها، ومضارَّها، حيث سجَّل ابن البيطار ١٤٠٠ عقار، لم يعرف اليونان منهم غير ٤٠٠ عقار.

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخارىُّ فى : الصحيح: كتاب العلم: باب قوله ﷺ : «رُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع» ١/ ٢٦، ٣٧، ٣٨، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها ٢/ ٩٨٧ ـ ٩٨٨ رقم ٤٤٦ .

(٢) انظر : معلمة الإسلام لأنور الجندى : المجموعة الأولى : فصل العلم فى الإسلام، ص٦١٤.

(٣) انظر : المرجع السابق ص٦١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ، ص ٦٢٤ـ ٦٢٥ بتصرف.

وكانوا أول مَنْ فتَّتَ الحصى فى المئانة، وسدُّوا الشرايين النازفة، واستخدموا عفن البنسلين، وعيش الغراب كمراهم.

جـ ـ اختراع وابتكار ما هو نافع ومفيد من وضع أصول المنهج العلمى، ومن اختراع الساعات الدَّقَّاقة، والزوالية، واكتشاف قوانين ثقل الأجسام وكذلك الإبرة المغناطيسية التى انتقلتْ إلى أوروبا فى القرن الثانى عشر، وكانتْ علوم المسلمين فى الجغرافيا والفلك هى صاحبة الفضل الأكبر فى الكشف عن الأمريكتين، إلى غير ذلك من الصور[1].

حسبنا مقولة نفر من العلماء :

«إن الغربى إذا صار عالمًا ترك دينه، بخلاف المسلم، فإنَّه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلا، ولم يرتق العلم فى أوروبا إلا بفصل الدين عنه، بينما العكس فى الإسلام، فإن قيمه لم تكن حائلة دون البحث والنظر، بل كانت مصدرًا مِنْ مصادره، وقد حدَّدَ الإسلام موقف العلم، فجعله فى إطار العقيدة وجعله خالصًا لإسعاد الإنسانية»[2].

٣ ـ الوفرة الاقتصادية :

وتمتع المسلمون بالوفرة الاقتصادية، حتَّى ظفر كلُّ فرد فى سائر أنحاء العالم الإسلامى بحاجاته من: الطعام والشراب، واللباس والسكنى والدواء، والانتقال من مكان إلى مكان، والتعليم، بغض النظر عن لونه، ولسانه، ودينه.

حسبنا أن الفائض من المال وحده فى القرن الثانى الهجرى على عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين، وأجل ملوك الدنيا، بعد سدِّ حاجات الأقاليم بشكل كامل، وعدا الضريبة العينية التى كانت تؤخذ مما تنتجه الأرض من الحبوب بلغ ما يقربُ من ٧٢,٠٠٠,٠٠٠ (اثنين وسبعين مليونًا من الدنانير)[3].

ولاشك أن هذا فائض ضخم بمقاييس ومعايير تلك العصور.

٤ ـ شيوع الأمن وانتشار الأمان :

وتُوِّجت المظاهر التى تقدمتْ بشيوع الأمن، وانتشار الأمان إذ نَعِمَ المؤمنون بالأمن

---

(١) انظر: معلمة الإسلام لأنور الجندى : المجموعة الأولى : فصل العلم فى الإسلام ، ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٣١ .

(٣) انظر: صبح الأعشى للقلقشندى ٢/ ٢٧٠ .

النفسى بسبب الاهتمام بالعقيدة وما يغذّيها من عبادات، وأعمال برّ، ومعروف، ثم ملاحقة الرذيلة، ومحاربتها فى كل زمان، ومكان، مصداقًا لقوله سبحانه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

[الأنعام]

وتمتع كلُّ فرد فى المجتمع حتى لو كان كافرًا مادام مسالمًا بالأمان المتمثل فى الحفاظ على: الدماء، والأموال، والأعراض، بسبب تطبيق شرع الله فى الأرض، وصدق الله القائل:

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

ثانيًا: أهم أسباب قوة العالم الإسلامى بالأمس وكثرة عطائه:

وأهم أسباب قوة العالم الإسلامى بالأمس، وكثرة عطائه:

١ ـ الفقه فى الدين:

ويُعَدُّ الفقه فى الدين: السبب الأول فى قوة العالم الإسلامى وكثرة عطائه، لأنه طريق لمعرفة الحقوق والواجبات، والوقوف على مكائد الشياطين وإبطالها، والقضاء على الفتور والتراخى، وغير ذلك من الفوائد والثمرات، ولهذا كانت بداية الوحى به فى قوله سبحانه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق].

وكان قول النبى ﷺ:

«مَنْ يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين، وإنَّما أنا قاسم، والله يعطى ولن تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خالفهم أو خذلهم حتى يأتيهم أمر الله، وهم على الحقّ ظاهرون» (١).

٢ ـ صفاء النفوس وطهارة القلوب:

إذ يقول الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[الرعد: ١١]

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

ويقول تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾ [الشمس] .

وهذا الذى قصد إليه الرسول ﷺ أول ما بدأ دعوته فى الناس، وظلَّ يدعو إليه، ويغرسه فى النفوس، ويغذيه حتى مات عن مائة وعشرين ألف مسلم هم فى جُملتهم على هذا المستوى، ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلىٌّ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير ابن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وغيرهم، وغيرهم من الرجال والنساء، فتية وكهولا، سادةً وعبيداً، وقد أثنى عليهم رب العزة بقوله:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ۝٢٣﴾ [الاحزاب] .

وتوارث المسلمون ذلك جيلا بعد جيل حتى كانت عصور الضعف والانحطاط، والتخلف.

٣ ـ الوحدة الجامعة :

إذ أثمر صفاء النفوس وطهارة القلوب وحدةً فى الفكر، والمشاعر، وامتزاجًا، وتجانسًا بين الأرواح، وصدورًا عن رأى واحد، وإن تعددت الأجساد، مصداقًا لقول الله ـ عزَّ وجلَّ :

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الانفال] .

ومضتْ هذه الوحدة تنتقل من جيل إلى جيل بين المسلمين وكانت سببًا فى قوة العالم الإسلامى، وثباته فى وجه مؤامرات الأعداء زمانًا طويلا.

٤ ـ الاهتمام بعمارة الأرض :

إذ يقول ـ عز وجل : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود : ٦١] .

ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

وعلى هذا الأساس انطلق المسلمون يعملون فى ما من شأنه أن يعمر الأرض من: زراعة، وصناعة، وتجارة، وصيد، ورَعْى، وجهاد، حتى أمسكوا بزمام الحياة، ووجهوها نحو النافع المفيد لهم ولغيرهم.

٥ ـ الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى فى ضوء الضوابط الشرعية :

وانفتح العالم الإسلامى على ثقافات الأمم الأخرى من باب «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ الناس بها»، ولكن فى حدود الضوابط الشرعية، فأخذوا ما فى ثقافات هذه الأمم من خير، وأعرضوا عمَّا فيها من شرٍّ، وبذلك ظفروا بالقوة، وأفاضوا على غيرهم بكل جليل وجميل.

* * *

الفصل الثانى
العالم الإسلامى اليوم

تقديم :

مما لا شك فيه أن العالم الإسلامى اليوم يعيش حالا من الضعف والانحطاط والتأخر لم يشهد لها مثيلا، ولم يعرف لها نظيراً فى كل مناحى الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والعسكرية، والأدبية، والصحية.. ونحوها.

ولابد للتخلُّص من هذه الحال من الوقوف على بعض المظاهر الدالة عليها، ومعرفة الأسباب التى أدت إليها، والآثار المترتبة عليها، على النحو التالى:

أولا : مظاهر ضعف العالم الإسلامى اليوم :

ومظاهر ضعف العالم الإسلامى اليوم كثيرة، وأهمها:

١ ـ هيمنة غيره عليه :

وهذا أهم مظهر لضعف العالم الإسلامى اليوم وقلة عطائه، وقد اتخذت هذه الهيمنة صوراً عدة، فبعضها عسكرى، وبعضها اقتصادى، وبعضها سياسى، وبعضها علمى وثقافى، وبعضها إدارى... وهكذا.

وهذا بدوره كبَّل العالم الإسلامى، وحال بينه وبين الانتفاع بخيراته على النحو اللائق المطلوب.

٢ ـ عدوان بعضه على بعض :

وهذا أخطر وأشد، يؤكده هذه الحروب المستمرة بين أبناء العالم الإسلامى، ويؤكده حرب الخليج الأولى. والغزو العراقى الغاشم الظلوم لدولة مسالمة معطاءة كدولة الكويت، وتؤكده الخلافات المستمرة بين أبناء العالم الإسلامى، بل بين أبناء البلد أو القطر الواحد.

٣ ـ عدم الاهتمام أو اللامبالاة :

وأخطر من هذا وذاك عدم الاهتمام بحال الضعف والتأخر التى وصلنا إليها، أو

اللامبالاة، حتى اشتد الخطر، واستشرى الداء، وطمع فينا الأعداء، وتمكنوا منَّا أكثر وأكثر، فصرنا أشبه بمريض تمكن منه الداء، ولا يدرى أنه مريض، وبالتالى لا يسعى نحو الطبيب للفحص، وتحديد موطن الداء، ووصف الدواء، وتعاطيه، والصبر على مرارته، وآلامه.

ثانيًا : آثار ضعف العالم الإسلامى اليوم :

وكان لضعف العالم الإسلامى اليوم آثار، ومن أهمها:

١ ـ عدم الانتفاع بالإمكانات المتاحة على النحو المطلوب :

إذ ترتب على ضعف العالم الإسلامى اليوم: عدم الانتفاع على النحو المطلوب بالإمكانات المتاحة من موارد بشرية، ومن مواد خام، ومن مال سائل، ومن أراضٍ خصبة ذات موقع جغرافى ممتاز، ومن منهاج معصوم، ومن تاريخ حضارىٍّ مشرق، فشاع بيننا الفقر أو الترف، وعمَّ الجهل، وكثرت الأمراض، لاسيما تلك التى لم نكن نسمع بها من قبل، من السرطان، والإيدز، ونحوهما.

٢ ـ غياب الأمن والأمان فى أغلب الأحيان :

وترتب على هذا الضعف أيضًا غياب الأمن والأمان فى أغلب الأحيان، إذ أدى تعطيل كثير من الأحكام الشرعية فى نواحٍ كثيرة من أرجاء العالم الإسلامى، والتحاكم إلى قوانين وضعية مستوردة من هنا وهناك إلى عدم الشعور بالأمن النفسى، والأمان الخارجى، وهما أمران لازمان لمواصلة العمل والعطاء، نَبَّهَ إليهما ربُّ العزة فى قوله :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [هود] .

وفى قوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش] .

٣ ـ القعود عن أداء الواجب :

ونتيجة لكل ما تقدم قعد العالم الإسلامى عن أداء دوره، وقيامه بواجبه، فبعد أن كان يعمل لعمارة الأرض، والنزول على حكم الله فى كلِّ ما يأتى وما يدع، وينشر الإسلام عن طريق الفتوحات الإسلامية فى كل أنحاء العالم، مال إلى الدعة، والركون، بل القعود حتى غزاه الأعداء فى عقر داره بكل صور الغزو، وبسائر الأساليب والوسائل، وصدق الله الذى يقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

ثالثًا: أسباب ضعف العالم الإسلامى اليوم:

ولاشك أن هناك أسبابًا كانت وراء ضعف العالم الإسلامى اليوم، ومن أهمها:

١ ـ غياب الفقه فى الدين:

إن الجهل بالدين يؤدى إلى التسيُّب والفوضى، والفتور، والكسل، والجهل بمكائد الأعداء، بل الوقوع فريسة فى أيدى هؤلاء الأعداء.

وهذا الذى ابتلى به العالم الإسلامى اليوم، إذ لما غاب الفقه فى الدين، ضيَّع الناس الواجبات التى عليهم نحو الآخرين، وطلبوا حقوقًا ليست لهم، ومَنْ كان عارفًا بالحقوق والواجبات اعتراه ـ لسبب أو لآخر ـ الكسل والفتور، بل لم يفقه حيل ومكائد الأعداء، فصادفهم ووالاهم، وأدى ذلك كلُّه فى النهاية إلى الضعف والتأخر.

٢ ـ الخواء النفسى:

وأدى غياب الفقه فى الدين إلى إهمال النفس من المحاسبة والتوبة والاستغفار، وكل أساليب التطهير والتزكية، فمرضت النفوس، وقست القلوب، وصدر عن الجوارح ما لا يُحمد عقباه من: خلف الموعد، وكذب الحديث، والخيانة، والغدر، والفجور فى الخصومة، والظلم، وغير ذلك من صور الرذيلة، وكان الضعف والتخلف، وصدق الله القائل:

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

٣ ـ الفرقة والتمزق:

ونتيجة حتمية للخواء النفسى كانت الفرقة والتمزق على كل المستويات الخارجية والداخلية بل فى القبيلة أو العشيرة الواحدة، وفى البيت الواحد، وانتهى ذلك إلى هيمنة وسيطرة الأعداء على العالم الإسلامى فى صورة أو أكثر من الصور التى قدمنا. جزاءً وفاقًا، إذ يقول الله ـ عز وجل:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران] .

ويقول تعالى : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٤ ـ إهمال عمارة الأرض :

وكان إهمال عمارة الأرض من بين الأسباب التى أدت إلى ضعف العالم الإسلامى، إذ لم ينتفع هذا العالم بنعمة التسخير التى وضعها ربُّ العزَّة سبحانه بين يديه حين قال:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] .

وحين قال :

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] .

٥ ـ توقف الاجتهاد :

وأدى توقف الاجتهاد لإبراز حكم الله فى المسائل الطارئة والوقائع المتجددة إلا ما كان بصورة فردية، وما يقع بين الحين والحين، أدى ذلك إلى التحاكم إلى مناهج أخرى من عمل البشر، ومِنْ ثمَّ كان الضعف والتأخر.

٦ ـ تقليد الغير فى الضار، وليس فى النافع المفيد :

وكان تقليد الغير فى الضار من النواحى الخُلقية والسُّلوكية وإهمال اقتباس النافع المفيد فى علوم الحياة سببًا من أسباب تأخر وضعف العالم الإسلامى اليوم.

٧ ـ الانقطاع عن التاريخ الإسلامى :

وكان الانقطاع عن قراءة وتأمل التاريخ الإسلامى لأخذ العظة والعبرة، وزاد الطريق سببًا من أسباب الضعف الذى يشهده العالم الإسلامى، إذ يقول الله ـ عزَّ وجلَّ :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] .

ويقول تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر] .

٨ ـ الغفلة عن المعايير الشرعية فى التعامل مع الأعداء :

وأخيراً كانت الغفلة عن المعايير الشرعية فى التعامل مع الأعداء من عدم الموالاة، وأخذ الحذر والحيطة، ونحو ذلك من أسباب ضعف العالم الإسلامى، وإمساك هؤلاء بخناقه على النحو الذى نشهد اليوم .

* * *

الفصل الثالث

مبشِّرات على طريق نهضة العالم الإسلامى المرتقبة

تقديم :

إنَّ حال الضعف التى يمرُّ بها العالم الإسلامى اليوم لن تدوم طويلا؛ لأنَّ الأمة التى يمثلها هى أمَّة الشهادة على العالمين، يعنى: أنها تقيم الإسلام فى نفسها دينًا ودُنيا، وتدعو الآخرين أن يقيموه كذلك فى أنفسهم دينًا ودُنيا، فإن لم يستجيبوا فلا أقلَّ من أن يخضعوا بعموم لسلطانه ونظامه، قال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وقد وعدها ربُّها التمكين الدائم بشروطه، فقال:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] .

وإذا كانت شروط التمكين قد غابت من حياة هذه الأمة كُلا أو بعضًا الآن، فابتلاها الله بما ابتلاها به من الضعف والتأخر والهوان، فإنها آخذة فى الرجوع إليها من جديد، شيئًا فشيئًا حتى يبلغ الكتاب أجله، وهى بمثابة مبشِّرات على طريق النهضة المرتقبة، وإليك هذه المبشرات :

أولا : المبشرات الثقافية والعلمية :

وتتجلى فى :

١ ـ الإقبال على تَعلُّم اللغة العربية بكل فروعها، ولهذا من الأهمية بمكان نظرًا لكونها مفتاح فقه الكتاب، والسنة، وطريق الدخول إلى تاريخنا الإسلامى بسنائه،

وضيائه، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى الوحدة الإسلامية الجامعة، مع الانتفاع بالإيجابيات وتجنُّب السلبيات.

٢ ـ الحرص على الفقه فى الدين: عقيدة، وعبادةً، وأخلاقًا، ونظمًا، وتشريعات، وهذا بدوره كان سببًا فى ضبط تصرفات المسلم من ناحية، وإرشاده إلى مكائد الشياطين وسبيل إحباطها، وكيفية القضاء على الانهزام النفسى أو القعود، بل والفتور والكسل من ناحية أخرى.

٣ ـ النبوغ فى العلوم التجريبية من طبٍّ، وهندسة، وفلك، وجيولوجيا، وزراعة... ونحوها، حتى كانت نخبة العلماء الذين على أكتافهم تدور عجلة البحث العلمى والإنتاج فى كلٍّ من أوروبا، وأمريكا، وهم بإذن الله رصيد مدخر للأمة يمكن توظيفه، والانتفاع به فى اللحظة الحاسمة، والبيئة المناسبة.

٤ ـ الرد على الشبهات والأباطيل التى أثيرت، وتُثار بين الحين والحين حول الإسلام والمسلمين بصورة تحمى الناشئة والشباب من التأثر بهذه الشبهات والأباطيل.

٥ ـ إنشاء العديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية والثقافية والعلمية لتقوم بمهمَّة نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والإفادة والاستفادة من الثقافات الأخرى فى ضوء القيم والمبادئ الإسلامية.

٦ ـ انتشار الكتاب الإسلامى المتضمن الصورة الكلية للإسلام بشموله ووسطيته وواقعيته، وسماحته، ويسره، وثباته، ومرونته، بالإضافة إلى بعث المخطوطات فى كلِّ فروع الثقافة والعلم من جديد بعد أن كادت تندثر وتموت.

ثانيًا: المبشرات الأخلاقية والسلوكية:

وتتجلى فى:

١ ـ الالتزام بالإسلام، لاسيَّما بين طائفة كبيرة من الناشئة والشباب فى كل شؤون الحياة قدر الطاقة والإمكان، كما تشهد بذلك المساجد فى رمضان، خصوصًا العشر الأواخر منه، وكما يشهد بذلك موسم الحجِّ والعمرة، والحرص على الحجاب والزِّىِّ الشرعى، وتحرِّى الحلال فى المطاعم، والمشارب، والملابس، والسكنى، ونحوها، بل السَّعى نحو كل ما هو إسلامى وإن كان فيه شىء من الخلل، والبُعد أو على الأقل التوجس خيفة من كل ما ليس بإسلامى.

٢ ـ إنشاء اللجان والمؤسسات التى تعمل على تهيئة المناخ الملائم لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومن أهمِّ الأعمال المنوطة بها وضع البحوث اللازمة لكثير من جوانب الحياة، وتقنين أحكام الشريعة الإسلامية، وتشجيع محاضن الدعوة، والتربية الرسمية وغير الرسمية، لتمضى فى أداء دورها، والقيام بواجبها على النحو المنشود.

٣ ـ علوُّ الأصوات المنادية بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، حتى من أولئك الذين كانوا يُعلنون فى إصرار: أنه لا دخل للدين فى السياسة، ولا للسياسة فى الدين، خَطْبًا لِودِّ الشعوب المسلمة التى لا ترضيها إلا أن تحكم بشرع الله ـ عزَّ وجلّ.

٤ ـ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مع الالتزام بشروطه وآدابه، وعن قريب ستثوب، إلى رشدها تلك الزمرة من الشباب التى لا ترى طريقًا للقيام بهذا الواجب سوى استخدام القوة وإراقة الدماء.

ثالثًا : المبشرات الاجتماعية :

وتتجلَّى فى :

١ ـ التوسُّع فى أعمال البرِّ والمعروف من أجل تخفيف المعاناة عن كل صاحب حاجة، وكذلك مَنْ ألَمَّ به عذر من الأعذار، كما تشهد بذلك: بيوت الزكاة، وصناديق الوقف الخيرى، ولجان العمل الإسلامى المنتشرة فى كل قارات العالم.

٢ ـ وضع الأصول والقواعد التى لابدَّ منها لتحقيق وحدة فكرية جامعة بين المسلمين على اختلاف ألوانهم، وألسنتهم، وأوطانهم على اعتبار أنها الأساس للوحدة السُّلوكية التطبيقية.

٣ ـ التنسيق بين بعض الأقطار من أجل التعاون لتحقيق المصالح والأهداف المشتركة، كما يشهد بذلك مجلس التعاون الخليجى، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وجامعة الدول العربية... وغيرها.

رابعًا : المبشرات الاقتصادية :

وتتجلَّى فى :

١ ـ حصر الإمكانات والموارد الاقتصادية المتاحة فى العالم الإسلامى، والعمل على استغلالها على أكمل وجه.

٢ ـ اهتمام العديد من الدول فى العالم الإسلامى بتنمية ذاتها اقتصاديًا عن طريق

خطط تنمية تأخذ فى اعتبارها التغلب على المعوِّقات التى تقف حجر عثرة أمام تقدمها اقتصاديًا مثل القضاء على الأميَّـة، والأمراض، والفقر.

٣ ـ وضع بعض السياسات والنظم الاقتصادية فى كثير من دول العالم الإسلامى التى تهدف إلى تحقيق التكامل الاقتصادى.

٤ ـ تشجيع التبادل والتكامل فى الصناعة والزراعة حسب المزايا التى يتمتع بها كل بلد إسلامى توفيرًا لتكاليف التكرار أو المنافسة غير المجدية، وتشجيع الخبرات، والإفادة من التجارب الاقتصادية فيما بينها.

٥ ـ استخدام التقنية الحديثة، وتطويرها، وتطويعها بما يخدم ظروف التنمية الاقتصادية فى العالم الإسلامى.

٦ ـ الحرص على تخفيف أو تخفيض ما على بعض دول العالم الإسلامى من ديون.

٧ ـ إقامة بعض بيوت التمويل والمصارف على النمط الإسلامى، سعيًا للتخلص من المعاملات المحرَّمة والمحظورة.

خامسًا : المبشرات السياسية والإدارية :

وتتجلَّى فى :

١ ـ وضع البحوث، وإقامة المؤتمرات التى تتناول الشكل الإسلامى للسياسة والحكم، المتمثل فى : الشورى، والانتخاب، والتعددية، ونصيب المرأة من ذلك كله، مع تقييم أشكال السياسة والحكم القائمة فى العالم اليوم من: الديمقراطية، والديكتاتورية، أو الحكم الفردى والشمولى المطلق.

٢ ـ تشكيل بعض أنظمة الحكم على النمط الإسلامى، وإن شابها بعض النقص، وهى خطوة جيدة على الطريق تتبعها خطوات وخطوات.

٣ ـ نقد بعض أنظمة الحكم فى العالمين الإسلامى والعربى، من باب حمل هذه الأنظمة على تعديل أوضاعها، بالتخلص من السلبيات والأخذ بالإيجابيات قدر الطاقة والإمكان.

سادسًا : المبشرات الأسريَّـة :

وتتجلَّى فى :

١ ـ الاهتمام بالأسرة فى ضوء النظام الإسلامى بما يضمن لها البقاء والترابط،

والنجاح فى أداء دورها ورسالتها، ويحقق السعادة للمجتمع، وكذلك الاهتمام بالشباب من حيث إنه: أمل الحاضر، وثروة المستقبل.

٢ ـ الاهتمام بالطفل على اعتبار أنه اللبنة الأولى فى بناء المجتمع فى ضوء أسس الإسلام وتعاليمه ، وأهم صور هذا الاهتمام السعى نحو إيجاد قدوة حسنة، أو مثل طيب يفتح عين الصغير على نور المبادئ الإسلامية السمحة من الإيمان، والصدق، والحبِّ المجرد، والعلم، والمعرفة بأمور الدين والدنيا.

٣ ـ العناية بالمرأة المتمثلة فى إفهامها أن الإسلام ارتقى بها إلى مستوى لم يكن لها به عهد قبل البعثة المحمدية، وأعطاها من الحقوق قدر ما عليها من الواجبات، سوى مسألة القوامة حيث جعلها الرجل، فقال سبحانه:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

* * *